

الشام والحرية^(١)

سادتي الفضلاء

احمد اليكم الله الذي آخى بينكم فجمعكم في صعيد واحد بعد ان كانت كلمتكم متفرقة واشكره تعالى اذ جعل لي لساناً ناطقاً في هذه الدار الكريمة المشرقة بانواركم المتألقة والتقدم اليكم بالثناء الصادر من صميم القواد على تنازلكم باجماعكم على طلب مقولة مني في هذا المقام وقد سئمت الكلام فهربت من مصر الى الشام ولكنني اظن ان الله كتب علي الكلام حتى يوم الحسام فليس لي من مفر والسلام

بيد اني اسألكم الصفع يا نجوم الفيحاء عما تجدونه في محاورتي لكم من التقصير فعذري ظاهر وانتم انتم الكرام

اعل هذه تكون اول محاضرة في ربوع هذه الحاضرة بعد ان هبت عليها نسائم الحرية العاطرة وقد طال عليها الاستعباد والحرية خلق شريف يجاهر بسلطانها الانسان بما يريد ما دام داخل في حدوده المرسومة له ولا يتعدى دائرة غيره فلذلك اردت ان اكلم عن شيء من حضارات الاسلام التي توطدت دعائمها في دمشق الشام وفي دار السلام وفي القاهرة الفاطمية وفي قرطبة الاموية . فلا جدادكم في هذه الحضارة الباهرة فضلان بدمشق وبقرطبة وانتم البقية الصالحة لهؤلاء الاسلاف الاشرف والامل معقود بكم ان تقلدوا بهم وتزبدوا عليهم كما هي سنة الترقى وكما هو شعار الاتحاد .

^(١) هذه محاضرة القاها احمد زكي بك من علماء القاهرة في دار صاحب المنبر بدءاً من ليلة ١٨ ذي الحجة سنة ١٣٢٦ بحضور جمهور كبير من اهل العلم والادب والقضاء والرجاحة

فلم يبق لكم عذر بعد اليوم في وضع دعائم النهضة الحديثة بدياركم الشجراء
الزهراء وقد كنت فيكم تلك البذرة الصالحة على ما شاهدته بعيني وخبرته
بنفسي

الا ترون من الفضول ايها الفضلاء ان يقوم فيكم نزيل من النزلاء
ويناجيكم بما انتم اهل به بلا مراة . لعمري هذا منتهى الفضول من الواقف
بيكم وهو ضعيف وصوته اضعف لانه يتكلم امام مائة الف اذ يعتقد ان كل
واحد منكم بالف . فانت ان لم يكن لكم عذر بعد اليوم في النهوض بامتكم
وبلادكم في الف عذر في هذا المقام وانتم انتم الكرام . خصوصاً اذا
اعترفت لكم بانني من الطائفة الثالثة التي اشار اليها الخليل بن احمد في قوله
ان الرجال اربعة : رجل يدري ويدري انه يدري فذلك عالم فاتبعوه ورجل
يدري ولا يدري انه يدري فذلك غافل فنبهوه ورجل لا يدري ويدري
انه لا يدري فذلك جاهل فعلموه ورجل لا يدري ولا يدري انه لا يدري
فذلك مائت فاحذروه . لا اريد الافتخار بقولي لا ادري لاني لا
ارضى بذلك المذهب الذي يزعم اصحابه ان من قال لا ادري فقد درى
نصف العلم وانما ارتضي مذهب ابراهيم بن طهمان الخراساني فانه ولد بهرارة
ونشأ بنيسابور ورجل في طلب العلم ونال منه قسطاً وافراً حتى كان له به بغداد
جراية فاخرة من بيت المال فسل يوماً في مجلس الخليفة فقال لا ادري
فقالوا تاخذ في كل يوم كذا وكذا ولا تحسن مسألة فقال انما اخذت على
ما احسن ولو اخذت على ما لا احسن لفتني بيت المال ولا يفني ما لا ادري .
فاعجب امير المؤمنين جوابه وامر له بجائزة فاخرة وزاد في جرايته
فلذلك ارى في اجماعكم على الزامي بمحاضرتكم على ما انا فيه من تسقت

البال بالاسفار والخين الى الديار انكم انما قصدتم ان تشجعوا القائمين بالعمل
على احياء حضارة الاسلام وشد أزر الطالبين للعلم فذلك امثلت امركم
لثلاث اخرج الاجماع وثلاثا اكون شاذاً عن رأي الجماعة وتمثلت بما قاله الخليل
ايضاً فقد قال ثلاثة تيسر المصائب: مرّ الليالي والمرأة الحسناء ومحادثة الرجال .
فقد جئت لاحادكم واستفيد منكم فاردتموني على الخطابة بينكم فكان مثلي
معكم كمن يحمل الصدف الى عمان ولا اقول الدرر او كمن يحمل العرض من
علوم الشرق الى اهل دمشق ولا اقول الجوهر
سادتي الكرام

مصر والشام توأمان ربطتهما الطبيعة والاخلاق قبل الاسلام
وبعد الاسلام بعروة وثقى ليس لها انفصام فلا عجب اذا كانت كل منهما تحن
للأخرى وتشاركما بعاطفة الود والقربى فيما يحل بها من سعد ورخاء او ما
ينزل عليها من نحس وشقاء لهذا تروفي يا ابناء الاكرمين لا استغرب منكم
هذا الخين لرجل من ابناء النيل اتاحت له الايام ان يحل بركابه في ارض
الشام وقد كان آلى على نفسه ان لا يضع قدماً في ارض سورية ولا في غيرها
من ارجاء السلطنة لما لاقاه من صنوف الحيف حينما غرر بنفسه في احد
فصول الصيف فولى وجهه شطر قبة الاسلام منذ بضعة اعوام

اما الآن وقد تفككت قيود الاستعباد ودالت دولة الاستبداد وزالت
سلطة الفرد وقامت شورى الامة على اساس ثابت كالجبال الرواسي واغني به
القانون الاساسي فاشرق نور الدستور على الجمهور فقد انفك عنه قسمه وصار
في حل من العهد الذي اخذه على نفسه فلم يتمالك من الشغوص في اول فرصة
الى تلك الربوع التي خفقت عليها رايات الحرية في صدر الاسلام فمرحت

تحت ظلالها ونالت بها اقصى آمالها ونثرت ثمراتها في الشرق ثم ارسلت فروع هذه الشجرة الزاكية النامية الى ما وراء البر فصادفت خير مغرس في رياض الاندلس فان الحرية الاسلامية اينعت لاول مرة في الفحاء فتأرجت باريجها الارجاء وابنت حضارة الاسلام في ارض جلق فازدهى بها المغرب كما اخثال بها المشرق

امتازت دولة العرب القائمة في دمشق على عهد معاوية ومن تلقى صولجانه بنعمة الحرية التامة حتى كانت هذه البقعة المباركة عروس الدنيا وقرارة المجد وكهف الشرف واشرق سناها على الدنيا من ادناها الى اقصاها غير ان الانسان جبل على الاندفاع مع التيار وعدم الوقوف عند الحدود فلم تلبث هذه الحرية ان اقلبت الى الاباحة فصار الناس فوضى وكان رؤوس الدولة اول من اسرف في الاساءة الى الحرية فتابعتهم الامة والناس على دين ملوكهم فانهار هذا الملك العظيم وغاضت عيون الحضارة في دمشق التي تزدان على الدهر بعيونها الفياضة .

لذلك اناشدكم الله ان تنعهدوا الحرية التي عادت الى ربوعكم في هذا العهد السعيد فتحافظوا عليها ولا تفرطوا في العناية بها حتى لا تعود الى الذبول فكفاكم ما حاق بكم من الخمول بسبب الانحراف عن صراطها المستقيم وهذه نصيحة خالصة محضكم اياها يا وجوه العرب لئلا تضيع منكم الحرية بتجاوز الحدود الذي يجعلها اباحة فلا يلدغ المؤمن من جحر مرتين . وكفاكم كفاكم موعظة ما قاله مروان آخر الامويين حينما ضاع ملكه في الشام وفر الى وادي النيل فالتجأ هو واهله وشيعته الى كنيسة في قرية بوحير من صعيد مصر فاحتمى المسودة اي جنود بني العباس وشارهم

السواد وكانوا في نفر قليل جداً بحيث كان من اسهل الامور على مروان ومن معه ان يبيدوهم عن آخرهم لو لا ان دولته كانت في ادبار ودولتهم في اقبال فلم يهلوه حتى يطلع النهار فلجأوا الى شجر ونخل ثم نأوشوه القتال فخرج اليهم وهو يقول : كانت لله علينا حقوق فضيعناها ولم نقم بما يلزمنا فلم عنا ثم انتقم منا . ثم فكر في كثرة جيوشه بالشام فقال : اذا انقضت المدة لم تنفع العدة . وذلك انه كان عند ما استفحل امر بني العباس استعرض جيوشه بالرقعة فر به من العرب وخدم ثمانون الف فارس على ثمانين الف فرس عربي . ثم احتزوا رأسه واخرجوا اكبر بناته من الكيسة وهي ترعد فقيل لها لا بأس عليك فقالت اي بأس اعظم من اخراجي حاسرة من حيث لم ار رجلا قط . ثم اجلسوها ووضعوا الرأس في حجرها . فصرخت واضطربت . فقيل لهم ما حملكم على هذا . قالوا كفعلهم يزيد بن علي حين قتلوه فانهم جعلوا رأسه في حجر زينب بنت علي (صاحبة المقام المشهور في القاهرة) ثم ارسلوا الرأس الى مدينتكم هذه فنصب على باب المسجد الاموي ثم بعثوا به الى الكوفة فخر السفاح ساجداً لله وتصدق بعشرة آلاف دينار

هذا الذي قاله مروان شبيه بمقولة هرقل حينما جاء اهل الاسلام واجلوا الاروام عن بلاد الشام . ركب البحر وهو ينظر الى الشام ويقول الوداع يا سوريا سلام عليك يا سوريا . ويشبه ايضاً قول ام ابي عبد الله آخر سلاطين بني الاحمر بغرناطة حينما اجلاه الاسبنيول عن تلك البقية الباقية للعرب في ديار الاندلس . فانه بعد ان سلم البلاد الى فرديند وايزابلا وخرج في حاشيته واهل بيته . اعاد نظرات كلها حشرات وارسل رائداً الطرف يزيدي الاسف وهو يتلطف على الحمراء فتهاطلت دموعه على خديه فقالت له امه :

أبك مثل النساء ملكاً مضاعاً لم تحافظ عليه مثل الرجال
ان الذكرى تنفع المؤمنين لذلك اردت ان اسرد عليكم هذا النبأ
الذي كان فيه ضياع الملك من دمشق ونزولها عن درجتها السامية التي
لم تعد لها الى الآن لئلا يتجاوز الناس حدود الحرية وقد اشرقت عليهم وعلينا
في هذا العهد النوراني المجيد فيقعوا في شر اعمالهم كما وقع الاولون والعامل
من اذا مرت به العبرة ازدجر او قيلت له الموعظة اذكر .

فلقد بلغ ملك بني امية ما بين قرني الشمس ثم زال لانهم اساءوا الى
الحرية التي نشروا اعلامها ورفعوا منارها حتى بلغت دولتهم من المجد اعلا
ذراه فتقرب اليهم ملك الروم بارسال مائة عامل من مهرة الصناعات وارسل
اليه مائة الف مثقال من الذهب الاحمر وباربعين حملاً من الآلات
حينما اراد الوليد تجديد الروضة الشريفة والزيادة فيها فبعث بهم الى واليه
عمر بن عبد العزيز فاستخدمهم وانتم تعلمون ورع عمر بن عبد العزيز
الذي لا يشبهه ورع مع ما تعلمون من شدة الخلف بين العرب والروم على
امتلاك آسيا الصغرى التي كانت بين الفريقين حاجزاً حصيناً يرد العرب
عن امتلاك فروق وهي كانت ولا تزال مطمح الانظار .

ومما يدل على بلوغ الحرية في دمشق نهاياتها دون ان يتجاوز حدودها ان
معاوية كان يمد الاسمطة للعامة ويؤاكلهم وان الوليد بن عبد الملك بنى في
مدينتكم دار الضيافة العامة وهو اول من فعل ذلك في الاسلام وذلك
للتعجب الى الرعاية بمخالطتها وتعرف احوالها وكان الخلفاء يسألونهم في العلم
والسياسة بهذه الوسيلة وها هو التاريخ وها هي كتب الادب تخبرنا بكثير
من الاصلاحات التي حدثت بهذه واسطة الشريفة التي كانت تربط الامة

بالخليفة وسرت من الامويين الى العباسيين فكان الرشيد يجالس الناس على المائدة فكانت حكومة المسلمين في الصدر الاول وفي ايام السلف الصالح اشبه شي بالحكومة الديموقراطية اية حكومة الامة بالامة كما هو الحاصل الآن في دولتنا العثمانية فلم يكن فيها من القاب الشرف ولا رتب الفخار بل كان الناس كلهم سواء فلا ترى ولا تعرف الا فلاناً ابن فلان ولا يكون التعظيم الا بالكنية وهي من المفاخر التي استأثر بها العرب دون سائر الامم الى هذا الزمان فكانوا يقولون ابو فلان فان لم يكن له ولد قيل ابو فلان باسم ابيه هكذا كان الناس في ايام بني امية مهما بلغت درجاتهم وعلت مناصبهم كما هو الشأن الآن في بلاد الاميركان التي هي بلاد الحرية الحقيقية باكمل معانيها فليس منهم الا مستر فلان حتى رئيس الجمهورية فنازلاً من الوزراء الى كل ارباب الوظائف الى عامة الناس وكذلك الحال في بلاد سويسرة التي تنفجر منها ينابيع الحرية الصحيحة في اوربا فلا يمتاز فيها ولا في اميركا رجل باي لقب اللهم الا باللقب الذي يطابق رتبته في العسكرية فقط . فاما اول من تلقب من الخلفاء فهو عبدالله ابو جعفر وقد غلب لقبه حتى انني لو اكتفيت بهذه الاشارة عنه لما عرف من هو الا الاقاون واما اذ ذكرت لكم اللقب الذي اشتهر لعرفتموه لانه اصبحت له علماً في التاريخ وهو المنصور ثاني الخلفاء من بني العباس ثم تغلفت الدول الاسلامية في الالقاب فكثرت وتنوعت وتعددت حتى صرنا الى ماترونه الآن فصار الجوهر تغشاه اعراض براقه خلافة ضغطت عليه وطمست معالمه حتى كاد يضع ان لم تقل ضاع فصرنا ولنا الالقاب نتهافت عليها ونتطلبها من سبيل الحرام اكثر مما نتطلبها من سبيل الحلال بل اصبحنا وعدم الالقاب

هو اللقب فيا حبذا الرجل منا الذي يشابه الحرف عند النحاة فيكون عدم العلامة له هو العلامة .

اما وقد تبيننا من رقدتنا واخذنا باسباب الرجوع الى الحياة فقد اشار الى محو الرتب والغائبها كاتب مجيد في جريدة "شوراي امت" التي تطبع بالتركية في عاصمة الامبراطورية العثمانية فاستمحيكم ان افول كلمة في هذا الموضوع .

فقد جاء الوقت الذي نجاهر فيه بضائرنا واميانا ونقول الحق ونصدع به فقد كان هذا العاجز يقول لكثير من اصدقائه في مصر انني والله احب ان اتخلى عن هذا اللقب الذي نلت به بجدي واجتهادي ولطالما جاهدت بالتأفف منه لا استكفافاً منه لانني اراه فوق قدرتي ولكن استكفافاً لكثيرين ممن حازوه او حازوا اعلامه وهم انما شروه بفضل الدراهم او ببعض المساعي الممقوتة . كثيرون من اصدقائي وهم احياء يرزقون يشهدون لي بانني طالما تمكنت على الله ان يزول عني هذا اللقب لا بالتجريد فانه مشين ولكن بالتسليم فانه شريف بحيث ارجع الى اسمي احمد افندي او احمد بن ابراهيم او ابو ابراهيم احمد زكي فانكنتي باسم والدي اذ قد جعلني الله في نعمة وافية من عدم الحصول على خلف لي ولكن الآن يجب ان نشير في محو الالقاب بطريقة معقولة مقبولة فلا نلغيها مرة واحدة من الحاصلين عليها لانهم ربما لا يرضيهم ذلك وهم ان لم يعبروا عن عدم رضائهم جهراً فربما يكون فيهم كثيرون لا يرضون به سرا ونحن في عصر الحرية ينبغي ان نحترم ارادة كل انسان وان لا يفتات البعض على البعض ولو في الالقاب . واحسن وسيلة هي ان لانسلك في هذا الموضوع شططاً بل تسير فيه سيرا

وسطاً وذلك في رأيي هو تخيير اصحاب الالقاب في التنازل عنها فمن رضي فيها ونعمت ولا ريب ان الاكثرين يرضون التجرد من هذه الالقاب التي قد ترهقهم عسراً اما الذين يريدون حفظها فامرهم اليهم . ولكن الدولة تقرر انها من الآن فصاعداً تلغي الرتب فلا القاب عندها منذ اليوم بحيث لا يأتي زمن طويل حتى تنقرض الالقاب ويبقى الناس كلهم افندي او سيد او خواجه او شيخ او ابو فلان وتصبح الامة كلها سواء تحت هلال الدستور لا يتميز بعضهم على بعض الا بالعمل النافع للجموع فتكون الامة كلها راقية لان كل فرد يتطلب النبوغ ويسعى الى التفوق بكده وجهده وحسبنا ذلك فخاراً .

بهذه الوسيلة يزداد سواد اهل الفضل في هذه البلاد فيكون لاهل العلم والعمل دلال على ارباب الدولة كما كان لامثالهم في ايام عز الاسلام فان الخليل بن احمد الذي ذكرته في صدر هذه المحاضرة كتب اليه سليمان بن علي الهاشمي يستدعيه لتعليم ولده بالنهار ومناذمته بالليل وبعث اليه بالف دينار ليستعين بها على حاله فاخرج للرسول زنبيلاً فيه كسر بالية وقال : اني مادمت اجد هذه الكسر غني عنه وعن غيره ورد الالف دينار على الرسول وقال اقرأ على الامين السلام وقل له اني قد الفت قوماً والفوني اجالسهم طول نهاري وبعض ليلى وبيع بثلي ان يقطع عادة عودها اخوانه وافي غني عنه وعن غيره وكتب اليه بهذه الايات .

ابلق سليمان اني عنه في نعمة	وفي غني غير اني لست ذا مال
وان بين الغنى والفقر منزلة	معروفة بمجديد ليس بالبال
سما بنفسي اني لا ارى احداً	يموت هزلاً ولا يبقى على حال

والفقر بالنفس لا بالمال تعرفه ومثل ذلك العني في النفس لا المال
والرزق عن قدر لا العجز ينقصه ولا يزيدك فيه السجود محتمل
والخليل هذا كان يقسم الايام الى ثلاثة : معبود ومستشهد وموعود
وكان دائماً يتمثل بقوله :

يكفيك من دهرك هذا القوت ما اكثر القوت لمن يموت
ولم ينفرد الخليل بهذه المزية الفاخرة في التكبر والدلال على اهل
الدولة وارباب المال فامثاله كثيرون اذكر منهم من يحضرنى ذكره في هذا
المقام فمنهم حماد بن ابي سلمة دخل عليه مقاتل بن صالح الحراساني فاذا ليس
في البيت الا حصير وهو جالس عليه ويده مصحف يقرأ فيه وبجانبه
حراز فيه علمه ومطهرة يتوضأ فيها . قال مقاتل فيينا انا عنده جالسا دق
داق الباب فقال : يا صبية اخرجي فانظري من هذا قالت : رسول محمد بن
سليمان قال قولي له يدخل وحده فدخل فناوله كتاباً فيه

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن سليمان الى حماد بن ابي سلمة اما بعد فصبحك الله بما صبح به
اولياءه واهل طاعته وقعت مسألة فانا نسألك عنها والسلام .
فقال ياصبية : هلي بالدواة . ثم قال لي اقلب الكتاب واكتب : اما
بعد وانت صبحك الله بما صبح به اولياءه واهل طاعته . انا ادركننا العلماء
وهم لا يأتون احداً فان كانت وقعت مسألة فأتنا وسلنا عما بدا لك وان
اتيتني فلا تأتني الا وحدك ولا تأتني بخيلك ورجلك فلا انصحك ولا
انصح نفسي والسلام .

فيينا انا عنده اذ دق داق الباب فقال : يا صبية اخرجي انظري من

هذا قالت : محمد بن سليمان قال : قولي له ليدخل وحده قد دخل فسلم ثم جلس بين يديه . فقال مالي اذا نظرت اليك امتلأت رهباً قال : سمعت عن ثابت النسائي عن مالك ان رسول الله قال : ان العالم اذا اراد وجه الله هابه كل شيء فاذا اراد ان يكثر الكنوز هاب كل شيء . فقال اربعون الف درهم تأخذها تستعين بها على ما انت عليه قال ارددها على من ظلمته قال : والله ما اعطيك الا ما ورثته قال : لا حاجة لي فيها ازوها عني زوى الله عنك اوزارك قال فتقسمها قال فلي ان عدلت ان يقول بعض من لم يرزق منها لم يعدل ازوها عني زوى الله عنك اوزارك .

هذه السنة الصالحة انتشرت بين علماء المشرق فارقت بهم الامة وكان لها شأن كبير لانهم كانوا يطلبون العلم للعلم وقد انتشرت هذه السنة الحميدة في عامة امصار الشرق وشماعت ايضا في بلاد الاندلس حتى في ايام تقهرها . فقد الف احد العلماء الاندلسيين كتاباً في اللغة فبلغ ذلك مجاهداً العامري صاحب الجزائر جزائر ميورقة ومنورقة المعروفة الآن بجزائر الباليار فوجه للعالم بالف دينار وبكسوة وخلعة وتحف كثيرة وطلب منه ان يتكرم بوضع اسمه في صدر الكتاب وانه الفه برسمه . فرد المال وهو في حاجة الى اقله وقال : كتاب صنفته لله ولنفع الناس لا افرده لواحد منهم . ويقرب من هذا مالك بن دينار فانه ترفع عن الملوك ونصح للصّوص . دخل للصّوص داره فلم يجدوا شيئاً يسرقونه . ولما هموا بالخروج قال لهم ماذا عليكم لو صليتم ركعتين فتابوا واناوبوا وقد كانت لهذه السجدة في مصر شأن كبير فلا احدثكم الا بمحادثة واحدة من هذا القبيل . فانتم تعلمون من هو شيخ الاسلام زكريا الانصاري فقد كان اهل الدولة يتسابقون اليه

ويقولون عليه وهو عنهم معرض ايما اعراض . مع انه كان يقتات بقشور
الخبز الملقاة في الطريق ولا يكفيه النهار للدرس وليس لديه شيء من
الدنيا يقتني به مصباحاً لنفسه فكان يأخذ الكراريس ويدرس على ضوء
القناديل المعلقة على ابواب البيوت .

وامثال شيخ الاسلام كثيرون في مصر وغير مصر يطول بذكرهم المقام
وربما كان في ايادها ما يدعو الى الملل والسأم غير اني استبحرهم الآن في
ذكر نادرين واقول نادرين لانه بعد ذلك السلف قد خلف من بعدهم
خلف فصار شتم العلماء وترفعهم بعلمهم في هذا الزمان الاخير كالكبريت
الاحمر بل هو اندر .

فالاولى نقضي على صلة الرحم ان اغتتم هذه الفرصة لاداعتها ولست
اخشى تكديراً لها لان الدين راوها او علموا بها علم اليقين لا يزالون احياء
يرزقون وهم في مصر كثيرون . وذلك ان جدي لامي الشيخ ابراهيم سويدان
حضر اليه برشيد والي مصر عباس الاول وقد انتهى اليه علمه وصلاحه
وزهده وانعطافه على المساكين فاعطاه مالا كثيراً فلم يرض فالح عليه وقال
له اهل البطانة خذ هذا المال فانه حلال وهو يساعدك على نفع المساكين
فامثل بشرط ان يضع الامير المال في كمه فرضي الوالي واخذ جدي المال
فطاف به في الاسواق يفرقه بواسطة غلامه على هذا وذلك حتى فرغ المال
كله ثم ذهب الى النيل فغسل هذا الكم الذي لامسته دراهم الوالي .

واما الثانية فهي معلومة لكم جميعاً وهي واقعة بينكم هنا وبيننا في مصر .
ذلك استاذ الشام على الاطلاق العلامة الشيخ طاهر الجزائري فهو يضم بين
سمرية العلم الجرم والخلق الاثم . انا لا ادري كيف يعيش هذا الرجل في

بلد مثل مصر قد اشتد فيه الغلاء حتى شكاه منه الاغنياء وقد بذلت ما في وسعي كما يعلم الاستاذ كرد علي صاحب المقتبسين وامام المقتبسين ورب هذا البيت الكريم في ان يناله شيء من الاوقاف الخيرية على ان يكتب عريضة لذوي الحل والعقد وقد تلطفت معه كثيراً بواسطة رب هذه الدار فلم يرض الى الآن . فماذا اقول عن هذه البقية الصالحة . لا اقول سوى كلمة واحدة تخرج من صميم الفؤاد بحب واخلص فليعش الشيخ طاهر الجزائري هذه الحرية وهذا الشتم هما جرثومة من ذلك الماضي المجيد وقد صادفت في عصر الدستور المنير ارضاً خصيبة فلعلها تتأصل في نفوسنا ونفوس الناشئين ليكون لقومنا ما كان للاسلاف من العز الذي ضرب رواقه في المشرقين وفي المغربين .

هذه الحرية هي التي جعلت الاخلاف من بني امية يحملون الكلم الشديد والقول المر من العلويين ومن سائر الناس . لو فرضنا ان احتملهم للعلويين كان من قبيل المدارة ومن باب المحافظة على الملك فماذا نقول عما سجله التاريخ من معاملتهم للعامة . افليس ابو صخر الشاعر الخزاعي المشهور بكثير عزة هو الذي كان يجاهر بالنشيع لعلي وبنيه وقد كانوا يسبونهم على المنابر بأمر الخلفاء الامويين . افليس هو الذي قام في يوم من الايام فصعد المنبر في بيت الله الحرام واخذ باستار الكعبة وقال :

لعن الله من يسب علياً وبنيه من سوقه وامام
أيسب المطهرون اصولاً والكرام الاخوال والاعمام
يأمن الطير والحمام ولا يأمن آل الرسول عند المقام
فانزلوه من المنبر واتخذوه ضرباً بالنعال وغيرها فقال :

ان امراً كانت مساوئه حب النبي لغير ذي عتب
 وبني ابي حسن ووالدهم من طاب في الارحام والصلب
 اتروا ذنباً ان احبهم بل حبهم كفارة الذنب
 ومع انه سب الامام جهاراً وفي الكعبة وضربه القوم خوفاً من الخلافة
 فقد دعاه عبد الملك ليستوزره ثم ازدراه لدمايته وقال سمع بالمعيدي خير
 من ان تراه فقال كثير : مهلاً يا امير المؤمنين فانما الرجل باصغريه قلبه ولسانه
 فان نطق نطق ببيان وان قاتل قاتل بجنان ثم انشد :

وجربت الامور وجر بطني فقد ابدت عريكتي الامور
 وما تخفى الرجال علي فيهم لاهو مثابته خبير
 ترى الرجل الخفيف فتزدريه وفي اثوابه اسد مزير
 ولعجبك الطير فتبتليه فيخلف ظنك الرجل الطير
 وما عظم الرجال لهم بزين ولكن زينها كرم وخير
 بغاث الطير اكثرها فراخاً وام الصقر مقلادة نزور
 لقد عظم البعير بغير لب فلم يستغن بالعظم البعير
 فيركب ثم يضرب بالمرأوى فلا عرف لديه ولا نكير
 فناشده عبد الملك الاشعار في الاخوان ثم قال : ان كنا اسأنا اللقاء
 فلسنا نسيء الثواء . حاجتك . قال : تزوجني عزة فاراد اهلها على ذلك
 فقالوا : هي بالغ وحق بنفسها فقيل لها فقالت : ابعد ما شبب بي وشهرني
 في العرب ما لي الى ذلك سبيل ولعلها احسنت في التنصل والاستذار
 وتلطف فلم تذكر ان سبب امتناعها هو دماية خلقه .

وبقي كثير مع تشييعه للطالبين مرعي المقام نافذ الحكمة على خلفاء بني امية

مع انه سبهم ولعنهم في البيت الحرام فان يزيد بن عبد الملك حينما جاؤا اليه
باسارى بني المهلب امر بضرب اعناقهم وكانت من حسن حظهم ان الامر
صدر بحضرة كثير فقام وانشأ يقول :

فغفوا امير المؤمنين وحسبه فماتحتسب من صالحك يكتب

اساؤا فان تغفو فانك قادر وافضل حلم حسبه حلم منضب

هذه الحرية التي اشتهرت بها الدولة الاموية في دمشق هي التي
جعلت الناس احراراً في اعمالهم وفي اعتقاداتهم فقد كان كثير هذا يقول بالرجعة
على مذهب الهنود ويخالف الملة الاسلامية كلها في ذلك كما كان يخالف
نسبة الدولة ويتشيع لعل ولكن الخلفاء عرفوا فضل الحرية فتركوا الناس
يعتقدون كما يشاؤون ويكتفون منهم بتوحيد الكلمة من جهة السياسة .

انني ايها السادة ارى الدين لم يخلق الا ليقرب المخلوق من الخالق فلا يمكن
ولا يجوز ان يكون الدين سبباً في ابتعاد المخلوق من المخلوق فالدين لله
والامة الوطن فليما ان نتمسك بعروة الوطن ليعود لامتنا نخارها السابق
وتكون لنا منزلة سامية بين الخلائق . وقد بدت علينا علام هذه النعمة

المباركة فالواجب يقضي بتعديدها وانماها ليكون المسلم والمسيحي والاسرائيلي
اخوة في الوطن فانهم اخوة في الانسانية ابوهم آدم والام حواء افنكون في
هذا العصر الزاهر اقل احتمالاً وتسامحاً من اجدادنا الكرام في صدر
الاسلام فقد وسعت صدورهم اهل المال والتحل ووضعوا ايديهم في ايدي
بعضهم بعضاً فكان منهم سور منيع لحفظ الدولة ورفع راية الوطن .

هذا صدر الدولة العربية قد وسع كثيراً من امثال كثير وقد كان
يقول بالتناسخ والرجعة ومع تشيعه كان يخالف جمهور اهل الشيعة فكان

مخالفاً لاهل السنة ولاهل الشيعة ومع ذلك كان له في الدولة العربية ذلك
المقام الكريم . كان يقول بامامة محمد بن الحنفية وانه احق من الحسن ومن
الحسين ومن سائر الناس وانه حي مقيم بجبل رضوى لا يموت . وكان يقول
عن نفسه انه يونس بن متى بمعنى ان روح هذا الذي التمه النون فخرجت
فيه فصار هو هو . ولقد سأل يوماً ماذا تقول الناس عنه فقيل يقولون انك
الدجال فقال اني لاجد في عيني ضعفاً منذ ايام (اشارة الى ان الدجال
اعور كما يقال) وحينما حضرته الوفاة كان يقول لا تبكوا علي لاني بعد
اربعين يوماً ارجع اليكم .

كل هذه الاقاويل لم تمنع الناس عن القول حينما مات هو وعكرمة في
يوم واحد بعد الظهر : لقد مات افقه الناس واشعر الناس .
لم يكن كثير وحيداً في القول بالرجعة والتمتع بالحرية في الرأي فقد
تمسك بمذهبه بعده كثيرون منهم السيد الحميري الشاعر الجعيد وهو ابو
هاشم اسمعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة كان يقول ايضاً بامامة محمد بن
الحنفية وانه لم يميت بل هو مقيم بجبل رضوى وقال في ذلك

الاقل للوصي فذرت نفسي	أطأت بذلك الجبل المقاما
اضر بمعشر والوك منا	وسموك الخليفة والاماما
فعادوا فيك اهل الارض طرا	مقامك فيهم سستين عاما
وما ذاق ابن خولة طعم موت	ولا ذاق له ارض عظاما
لقد امسى بمورق شعب رضوى	تراجعه الملائكة الكراما
هدانا الله اذ حزنتم لامر	به ولديه نلتس التاماما
تمام امامة المهدي حتى	يزوا آياتنا نترى نظاما

وكان الحميري يشرب الخمر جهاراً ويقول بالرجعة ليلاً ونهاراً . قال
لرجل تعطيني ديناراً بمائة دينار الى الرجعة قال ان وثقت لي بمن
يضمن لي انك ترجع انساناً انما اخشى ان ترجع كلباً او خنزيراً فيذهب مالي .
هذه الحرية في الفكر والاعتقاد كانت لذلك السيد الحميري في ايام
الامويين فلما دالت الدولة وتغيرت الايام وانتقل الملك الى بني العباس بقي
الرجل على حريته في نحلته ولم يعارضه احد من اهل الدولة الجديدة لان
الحرية كانت شعار الدولة العربية فان انتقل السلطان من بيت الى بيت
فالحرية ثابتة الدعائم هنا وهناك والناس بفضلهم لا يذهبهم ورأيهم .
انظروا الى السيد الحميري ودلاله على اهل الدولة الناشئة كما كان لامثاله
في الدولة البائدة ذلك لما استقام الامر لابي العباس السفاح خطب يوماً
فاحسن في خطبته . فلما نزل عن المنبر قام اليه السيد الحميري فانشد

دونكموها يا بني هاشم	فجددوا من آيها الطامسا
دونكموها فالبسوا تاجها	لا تعدموا منكم لها لابسا
دونكموها لاعلا كعب من	امسى عليكم ملكها نافسا
خلافه الله وسلطانه	وعنصرأ كان لكم دارسا
لو خير المنبر فرسانه	ما اختار الا منكم فارسا
والملك لو شور في ساسة	ما اختار الا منكم سائسا

فقال له السفاح : سل حاجتك فقال ترضى عن سليمان بن حبيب بن
المهلب وتوليهِ الاهواز فكتب له منشوراً بالولاية ودفعه اليهِ فأخذه وقدم
به على سليمان بالبصرة فلما وقعت عينه عليه انشده

اتيناك يا قرم اهل العراق بخير كتاب من القائم

اتيناك من عند خير الانام وذاك ابن عم ابي القاسم
 اتينا بعهدك من عنده على من يليك من العالم
 يوليک فيه جسام الامور فانت صنيع بني هاشم
 فقال له سليمان شريف وشافع ووافد وشاعر ونسيب سل
 حاجتك فقال :

سأحكم اذ حكمتني غير مسرف ولا مقصريا ابن الكماة الاكارم
 في ابيات طلب بها جارية فارهة جميلة ومن يخدمها وبدره ومن يحملها
 وفرساً رابعاً وسابسة وتحتاً من صنوف الثياب وحامله قال قد امرت لك
 بجميع ما سألت ولك عندي في كل سنة مثله .

هذه هي الحرية التي جعلت هشاماً الخليفة الاموي يعطي الكميث وقد انشده
 مائة الف درهم وقد كان الكميث مجاهراً بحب العلويين وبذم الامويين .
 هذه هي الحرية التي اشرفت اليوم شمسها على دولة آل عثمان وهي التي
 نرجو بها ارتفاع الدولة ومجد الوطن لا نفرق بين دين ودين ولا نعرف شيئاً
 آخر سوى اننا نستظل كناناً بآية الهلال .

فخذار حذار من التهاون بها او الاستهتار في سبيلها حتي لا تعود
 تلك الايام السود وما فيها من ظلم وظلام .

ان الامة العثمانية قد اثقلتها المظالم واخذت عليها يد الاستبداد حتي
 كادت تقضي عليها ولكن العناية الربانية تداركتها بنفحة من نفحات الحرية
 فعادت اليها الروح ودب في جسمها الانتعاش فظهرت بهذا المظهر البديع
 الذي يعجب به من في الارض ومن في السموات . فاحرصوا يا رعاكم الله
 على الحرية فانها ملاك السعادة .

اياكم ثم اياكم ان نقلب هذه الحرية اباحة فتندهور الامة في هاوية ليس لها قرار .

يقولون ان هذا الانقلاب سلمي لم تسفك فيه قطرة من الدماء . نعم ولكن المقدمات التي اوصلت الامة العثمانية الى هذه الغاية المجهدة كانت محفوفة بالجس والكس . بالتشريد والتجريد . بالاحراق والاغراق بالتبتييم والتلطييم .

افلم يكن في هذه الشناعات وفي تلك الدماء الزاكيات وفي ذلك الصراخ الذي بلغ عنان السماوات ما يكفي اشراء هذه الحرية الثمينة باغلى الاثمان يا آل عثمان .

وفي هذا المقام التقدم الى اهل الادب منكم وكلهم اهل الادب في تدوين تلك الحوادث التي هي اشبه بالخرافات لانها لا تكاد تدخل في دائرة المعقولات دونوها ولكن بالصدق والاخلاص ليعرف المعاصرون لكم والناشئون بعدكم انكم اشتريتم هذه الحرية باغلى الاثمان ودونوا هذه التكت وتلك النوادر مع الامانة والصدق حتى لا تنعكس النتيجة فكل شيء جاوز الحد انتهى الى الضد . لا تكتفوا بروايتها فان الذاكرة اصبحت في هذه العصور ضعيفة والمطالب كثيرة رانما هو التدوين عرفنا به مفاخر الاولين وان كان لم يصل اليها منه الا القليل . اصبحنا في عصر تشعبت فيه المعارف وكثرت امامنا الحاجيات فلا مناص لنا من التدوين الذي يحفظ الحوادث للدهور الآتية والاجيال المستقبلية .

نعم نحن في حاجة الى تدوين كل شيء اذ قد صار من المستحيل علينا ان نضارع الحفاظ الذين اشتهرت بهم حضارة الاسلام . بل اين لنا ان

نكون مثل عامر بن شراحيل او ابن ادريس الشافعي او ابن حزم الظاهري
وامثالهم ممن يعدون بالالوف هذا عامر بن شراحيل كان يقول : ما كتبت
سوداء في بيضاء ولا حدثني رجل بمحدث قط الا حفظته وما احببت ان
يعيده علي . وما ادري شيئاً اقل من الشعر ولو شئت لانشدتكم شهراً
ولا اعيد ولقد نسبت من العلم ما لو حفظه رجل لكان عالماً . وهذا الشافعي
يقول

عليّ معي حيثما يممت بنفعني صدري وعائلته لا بطن صندوق
ان كنت في البيت كان العلم فيه معي او كنت في السوق كان العلم في السوق
وهذا ابن حزم الظاهري الاندلسي احرق القوم تواليغه فقال
فان تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي
تضمنه القرطاس بل هو في صدري

يسير معي حيث استقلت ركائي

وينزل ان انزل ويدفن في قبري
ومع ذلك فقد دون الناس من اجدادنا في كل فن وفي كل شيء حتى
اتنا بفضل القليل الذي خلاص الينا من مدونات الاقدمين عرفنا اموراً
خصوصية لا يمكننا ان نبدي شيئاً مما يماثلها في عصرنا هذا فمثال ذلك اتنا عرفنا
ان السيدة سكيئة المدفونة بمصر القاهرة كان مهرها الف الف درهم (خمسين
الف ليرة فرناشوية تقريباً) وعلمنا انها ولدت الرباب فكانت تلبسها
اللولؤ وتقول ما البسها اياه الا لتفضحه . وكان يجلسها بالمدينة كعبة للادباء
والشعراء واخبارها معهم اشتهر من نار علي علم وخصوصاً مع الفرزدق .
هذا من الامور الخصوصية الداخلية واما الامور العمومية فقد علمنا منها

مثلاً أن الخليفة الأموي هشام كان إذا صلى الفداة بجامع دمشق فأول من يدخل عليه صاحب حرسه فيخبره بما حدث في الليل ثم يدخل عليه موليان له مع كل واحد منهما مصحف فيقعد أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله حتى يقرأ عليهما جزأه ثم يقومان فيدخل الحاجب فيقول فلان بألباب وفلان فيقول أئذن فلا يزال الناس يدخلون عليه حتى إذا انقصف النهار وضع الطعام ورفعت الستور ودخل الناس وأصحاب الحوائج وكتبه قاعد خلف ظهره فيقوم أصحاب الحوائج فيسألون حوائجهم فيقول لا ونعم والكتاب خلفه يوقع ما يقول حتى إذا فرغ من الطعام وانصرف الناس صار إلى قائلته فإذا صلى العصر دعا بكتابه فناظرهم فيما ورد من أمور الناس فإذا كانت العشاء الآخرة أقام الصلاة ثم اختلى بسماره من رجال العلم والأدب .

واتفق أنه بعد أن صلى العشاء الآخرة وأقبل سماره كما دأبهم جاءه الخبر بأن خاقان ملك الترك خرج بآرمينية فنهض في الحال وحلف لا يؤويه سقف حتى يفتح الله عليه .

بمثل هذا التدوين عرفنا أيضاً كيف كان الخليفة العباسي يجلس للناس ويستغل بأمور الدولة فقد كان المنصور العباسي مثلاً يشتغل صدر نهاره بالامر والنهي والولايات وشحن الثغور والأطراف والنظر في الخراج والتفقات ومصالح الرعية فإذا صلى العشاء نظر فيما ورد عليه من كتب الثغور والأطراف وشاور سماره وكان ولادة البريد يكتبون إليه كل يوم بسر القمح والحبوب والأدام وسائر المأكولات . ويجيطونه علماً بكل ما يقضي به القاضي في نواحيهم وبما يرد إلى بيت المال وعلى العموم بما يتجدد

من الحوادث في دائرة ادارتهم . فينظر في كتبهم بعد صلاة المغرب فان رأى تغيراً في الاسمار كتب الى العامل يسأله عن العلة ومتى ورد الجواب تلتطف حتى يعود سعر ذلك البلد الى حاله . وان شك في شيء مما قضى به القاضي كتب اليه في ذلك فان انكر شيئاً كتب اليه يوبخه ويلومه فاذا مضى ثلث الليل قام الى فراشه وانصرف سماره فاذا مضى الثلث الثاني قام من فراشه فتوضأ وتبوأ الحراب حتى يطلع الفجر فيعود الى عمله في الامس .

ومشى العباسيون على هذه السنة حتى ان المعتصم عند ما جلس مع سماره في اواخر الثلث الاول من الليل ومعه كأس يشربها قال له احد سماره : انه سمع من رجل قادم من الثغور تغور الروم ان في عمورية امرأة مسيلة في الاسر قالت وامعتصماه نختم على الكأس وقام من فوره واخذ الجند حتى استولى على عمورية وخلص الاسيرة ثم شرب كأسه .

ومثلهما المنصور بن ابي عامر في الاندلس فقد بلغه ان بارض الجلالة اسيراً يستنجد به فقام من مجلس سمره لا يلوي على شيء حتى فتح تلك الحصون وخلص الاسير .

بهذه العناية من العلماء على طلب العلم ومن الرؤساء على حفظ بيضة الدولة كان للامة الاسلامية مقام كبير حتى اذا ما تولاهم التراخي فاهملت شؤونها سقطت الى الخضيض . اما وقد رأيناها وهي تأهب بفضل الدستور وفي ظل الهلال المنير لاسترجاع مجدها فقد وجب علينا ان نتعاون قلباً وقالباً على العمل فيما يرفع شأنها فباعمال الافراد يرتقي المجموع وترتفع منزلة الدولة .

وكيف لا نصل الى هذه الغاية من ايسر طريق وفي اقرب وقت وقد رجعت دولتنا الى السنة القديمة المجيدة تلك السنة التي قامت بفضلها الدولة العربية في ابهى المظاهر وابهر المناظر — تلك السنة ياسادتي هي سنة الشورى التي امر الله بها المسلمين وقامت بها دولتهم فغنت لها المشارق والمغرب فان الدين الاسلامي يأمر بالشورى فاذا نظرنا الى التاريخ نجد ان دولة الاسلام بعد ان ذهب صاحب هذا الدين الى الزريق الاعلى قد قامت بالشورى وبالبايعات من الجماعة فقد اتفقوا كلهم على ابي بكر ثم تسلسلت الحوادث وصارت الخلافة ملكاً عضوضاً يتوارثها الابناء او الاعمام او ابناء الاعمام في الشرق والغرب في دمشق وفي بغداد وفي القاهرة وقرطبة في المغرب الاقصى وفي القسطنطينية يتوارثونها بالبيعة ولكنها بيعة مزدوجة تكون اولاً من الخاصة الذين يتفقون على الخليفة ثم من العامة الذين يقرون على ما قرره الخاصة ولا نجد لذلك استثناء الا في دمشق فان عمر بن عبد العزيز بعد ان جاءته الخلافة عفواً تنازل عنها وقصة ذلك ان سليمان بن عبد الملك لما مرض كتب كتاب العهد لابنه ايوب ولم يكن بالناس فرده عن ذلك رجاء ابن حبة فقال له ما ترى في ابني داود فقال له بقسطنطينية وانت لا تدري احي هو ام ميت فقال من قال رأيك يا امير المؤمنين قال ما ترى في عمر فقال اعلم والله صالحاً فاضلاً خيراً فقال ان وليته ولم اول احداً من ولد عبد الملك لتكونن فتنة ولا يتركونه فكذب له وجعل من بعده يزيداً اخاه وختم الكتاب وامر بجمع اهل بيته فقال لهم هذا عهدي فاسمعوا له واطيعوا وبايعوا على من فيه ففعلوا . فجاء عمر بن عبد العزيز لرجاء بن حبة فقال يا رجاء قد كان لي عند سليمان حرمة وانا اخشى ان يكون قد اسند الي من هذا

الامر شيئاً فان كان فاعلمني استعف فقال رجاء والله لا اخبرك بحرف واحد
ففى . ثم جاء هشام فقال لي حرمة وعندى شكر فاعلمني فقال لا والله
لا اخبرك بحرف فانصرف هشام وهو يضرب بيد على يد ويقول : فالى
من . ثم جددت البيعة ومات سليمان . فقرأ رجاء بن حياة الكتاب فلما
ذكر عمر بن عبدالعزيز قال هشام والله لا نباعة . فقال له رجاء والله اذن اضرب
عنقك . قم فابع . فقام يحزر رجليه ويسترجع اذ خرج عنه هذا الامر وعمر
يسترجع اذ وقع فيه . ثم جيء بمراكب سليمان بن عبد الملك مراكب
الخلافة فقال عمر قربوا الى بغلتي ثم خطب فقال : ايها الناس قد ابتليت
بهذا الامر من غير رأي كان مني ولا مشورة واني قد خلعت ما في
اعناقكم من يدي فاختاروا لانفسكم فصاح الناس صيحة واحدة قد اخترناك
يا امير المؤمنين تلي امرنا باليمن والبركة . فقال اوصيكم بتقوى الله خلف
من كل شيء ليس من تقوى الله خلف وبعد ان اتم خطبته نزل فدخل
داره فامر بالسور فهتكت وبالثياب التي كانت قسطاً للغلفاء فحملت وامر
ببيعها وادخل ثمنها في بيت المال . ولما بلغ الخوارج سيرته وما رد من المظالم
قالوا ما ينبغي لنا ان نقاتل هذا الرجل .

وقد حدثنا التاريخ بان عمر بن عبدالعزيز اشترى ماطية من الروم بمائة
الف اسير فارضاهم وجعل لسولته سداً منيعاً دونهم فكانت ايامه كلها سلاماً
في سلام فانظروا الى ما جرى في هذه الايام فقد قامت التمس بالتهام البوسنة
والهرسك غنيمه باردة وبغير ثمن فهل عندها مائة الف اسير او الف او
اسير واحد فقط .

ولعمري ما كان اغناها عن الدخول في هذه الورطة التي اوقعت نفسها

فيها بلا طائل ولا فائدة معجلة او موجلة ظاهرة او باطنة لانها تحتل هاتين
الولايتين بمقتضى معاهدة برلين فاي فائدة لها في هذا التملك الذي لا يرضى
به حر عاقل او ذو ضمير حي ولذلك قابلتها الامة العثمانية بحرب سلمية
ولكنها كانت على النمسا شراً من امتشاق الحسام تلك هي المقاطعة التجارية
التي نرى آثارها في طول البلاد وعرضها هذه المقاطعة ليست من
مستعذات هذا الزمان فان اول من سنّها هو نبي الاسلام عليه السلام .
فقد غضب على رجل من اهل المدينة فامر الناس بجفافه فما كان احد يتعامل
معه على الاطلاق ولا كان احد يقرؤه السلام حتى تاب واهتدى فعسى
ان تكون النتيجة في هذه الايام الاخيرة مثل ما كانت في تلك الايام الاولى .
وليست المقاطعة هي السنة الشريفة الوحيدة التي احياها بنو عثمان
في هذا الزمان .

فاننا اذا تصفحنا التاريخ وجدنا ان الدول تقوم على ربوات من
الجثث والهجمات واذا اقتصرنا على ذكر دول الاسلام نرى ان دولة الامويين
قامت بالسيف والنار فحروب صفين وغيرها معلومة للغاص والعام وكل
الناس يعلمون ان الحجاج قتل ١٢٠ الف نفس في توطيد دعائم الدولة
المروانية . كذلك دولة العباسيين قامت على قتل الامويين وقد سفك ابو
مسلم الخراساني دم ٦٠ الف انسان . وكذلك دولة الامويين في الاندلس
قامت على اطلال الحرب واشلاء القتلى . ومثل هذا وقع بمصر حينما
دالت دولة الفاطميين فان صلاح الدين رحمه الله واكرم مثواه اضطر
بحكم السياسة لارتكاب هذا الامر ولكنه تلطّف فلم يدع للوم سبيلاً
وذلك انه حبس الفاطميين والفاطميات في قصر كبير ومنع الرجال عن

النساء وصبر عليهم حتى قضوا نحبهم حتف انهم . وكذلك حدث في القاهرة حينما تبوأ محمد علي سريرها فانه اخذ في مداراة المالك واكتساب ثقتهم فلما اعيتته الحيل اضطر لباذنتهم في وقعة القلعة المشهورة . هذه الامثال وقد ذكرت منها القليل تدلنا على صحة قولهم ان الملك عقيم وان تأسيس الدول لا يقوم الا على الدماء . حتى جات هذه الايام فرأينا دولة الشورى قد قامت بسلام على سلام في سلام فعلها الف تحية وسلام . لعمرى انها معجزة غريبة في بابها . نعم رأينا معجزة المعجزات فكيف لانصدق بما رواه لنا التاريخ من المعجزات .

بلاد الشام هي موطن المعجزات ففيها قام الانبياء . بلاد العرب كانت لها اكبر معجزة بظهور احمد . بلاد اوربا واميركا جاءنا بمعجزات العلوم والصناعات والفنون . بلاد اليابان في اقصى الشرق كانت لها في هذه الايام نهضة تفوق المعجزات . فلم يبق الا آل عثمان وكأنهم عجوزوا عن المعجزات حتى اتونا بالامس بمعجزة هي نهاية ما يصل اليه اهل الارض فقيامهم باقامة دولة الشورى هو معجزة المعجزات .

لذلك حضرت اليكم لاهنتكم ايها السادات بمعجزة المعجزات . يا عجوبة الاعاجيب وانني ارجو لدولتنا بقاء ليس له انتهاء والسلام عليكم ورحمة الله .

